عنوان المداخلة :

قراءة في كتاب "جدَل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية" للدكتور سيدي محمّد بن مالك

عطوي سمية .

وفاء عبد اللاّوي.

الملخّص :

تزايد النِّتاج الروائي الجزائري بمرور الزمن كمًّا ونوعًا، إلاَّ أنّه لم يَجدْ في الساحة النقدية الجزائرية كتبًا متخصصةً تُجاريه، وتُواكبه كما هو الحال مع الرواية العربية. وإنْ وُجدَت بعض المحاولات والدراسات فإنَّها معدودة لا تُغطِّي إلاَّ النزر القليل من السرديّات المحليَّة المُنجَزة، كما أنها تدور في فلَك أسماء روائية مُعيَّنة، تُكرِّرها كل حين، وبنفس المناهج تقريبًا دون الانفتاح على المناهج المعاصرة التي وسَّعت آفاق المتن الروائي. إلاّ أنَّه و رغم هذا العجز الملحوظ، ظهرت محاولات جادة من طرف بعض الدارسين والباحثين الجزائريين الذين اتَّجهُوا نحو المتن الروائي الجزائري، وانكبوا على تفاصيله، موظِّفينَ مناهجَ نقدية جديدة تُسهم في تعريف المتلقِّي المحلّي بكُتَّابِه، و تُشرِّحُ أعمالهم؛ ومن هؤلاء الباحث الدكتور "سيدي محمّد بن مالك" الذي أصدر مؤخرا عملاً نقديًّا جديرًا بالكشف والقراءة، وهو كتاب "جدَل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية"، جَمع فيه بين روايتين من السبعينات، وثلاثة أخرى تنتمي للألفيّة الثانية، مُسلِّطًا عليها الضوء بالارتكاز على ما وَضَعه علماء السَّرد الغربيّون من مصطلحات واستراتيجيات قراءةٍ وتحليلٍ، مُركِّزًا على فِعْلَيْ الكتابة، والقراءة معًا للوصول إلى خلاصة الجدل القائم بين المخيال و التخييل في الرواية الجزائرية. فماهي المناهج التي اعتمدها في دراسته؟ وكيف وظَّفها بما يوائِمُ خصوصيات المتن الروائي الجزائري ؟ وهل مَا تناوَلَه من قضايا : الفضاء والنسق والوصف والانفتاح يُعدُّ تجديدًا، وإضافةً، أم أنّه لا يَعْدُو كونه تكرارًا لما سبق من دراسات وبحوث؟

محور المداخلة :المحور الأول : إشكاليّة توظيف المناهج النقديّة الجديدة في الرواية الجزائريّة.

- **مقدمة :**

مَا إنْ يخرج نتاج فنّي –روائي، قصصي أو شعري– للساحة الأدبية حتى تتلقّفه الدراسات النقدية، وتختصُّ بمهمة تفكيكه، وتقليب مختلف جوانبه، لأجل استكناه مغاليقه، وتِبيان مواطن الضعف والقوة فيه، فالأدب لا يكون أدبا إلا بالنّقد الذي يُقيّمه. والرواية بما هي فن سردي يمتلك سحرًا خاصًا، نالت مكانةً مرموقة بين الفنون النثرية لم يَحُزها أيّ فنٍّ غيرها، وكنتيجة حتميَّة للأمر، وبنفس الدرجة تقريبًا تكاثرت الدراسات النقديّة المصاحبة لهذا الجنس السردي، وراحت تُطبِّق عليه مختلف المناهج التقليدية والمعاصرة بما يخدم مقاصدها.

لقد استأثرت الروايةُ العربية بالاهتمام النقدي الكثيف، بينما بقيت الرواية الجزائرية في الظل، ولم تَنل حظًّا كافيًا من البحوث النقدية؛ سواء العربية منها أو الجزائرية، باستثناء بعض الدراسات المنفردة هنا وهناك، أو المقالات المتناثرة على صفحات المجلات والجرائد، على الرغم من أنَّها تنتج نصوصًا قوية جديرة بالبحث والتحليل، يقول "حسن المودن" : "الرواية بالجزائر رافد أساس من روافد الرواية في المغرب العربي خاصة، وفي العالم العربي عامة، إلا أنها لم تلق بعد ما تستحق من الدرس والبحث"[1]، لكن هذا لا ينفي وجود بعض المحاولات الجادة التي انبرى أصحابها يطبّقون مناهج نقدية عصرية تتناول المتون الروائية من زوايا جديدة غفلت عنها المناهج التقليدية، وكان ممّا اخترناه كتاب"**جدَل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية**" **للدكتور**"**سيدي محمّد بن مالك**"، وقد ركّز فيه صاحبه على وصف وتأويل جدل التخييل والمخيال في المتن الروائي الجزائري، ودَوْر ذلك في تشكيل المعنى، تطبيقًا على خمس روايات بالعربية هي: "نهاية الأمس" لعبد الحميد بن هدوقة، و"طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش، و"قرة العين" لجيلالي خلاص، وروايتي "الرعشة" و"الملكة" لأمين الزاوي.

- **الباحث "سيدي محمد بن مالك" في سطور:**

سيدي محمد بن مالك أكاديمي جزائري، مهتم بالرواية الجزائرية ونَقْدها، أصدر في سنة 2015، كتابه المعنون بـ "رؤية العالم في روايات عبد الحميد بن هدوقة: مقاربة سوسيوشعرية"، ويبحث هذا الكتاب في " تمظهرات الوعي التاريخي لدى الكاتب الجزائري المرحوم ابن هدوقة، عبر إبداعه الروائي المتمثل في خمس روايات"[2]. وفي صيف سنة 2016، صدر له مؤلفين آخرين

[1] حسن المودن: الرواية و التحليل النصّي – قراءات من منظور التحليل النفسي – دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص101
[2] إصدارات جديدة "كتاب جديد لسيدي محمد بن مالك"، مجلة عود الند، النسخة الإلكترونية العدد 112، 10 أكتوبر 2015
http://www.oudnad.net/spip.php?article1510

في النقد وهما "السرد والمصطلح: عشر قراءات في المصطلح السردي وترجمته"، و"جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية". ويسعى "سيدي محمد بن مالك" في كتابه "السرد والمصطلح" إلى التعريف بمناهج تحليل الخطاب السردي في النقد الغربي من خلال مقاربة بعض المصطلحات والمفاهيم السردية، قاصدا من خلال ذلك"استمالة الدارس والقارئ العربيين إلى أهمية توظيف المصطلحات السردية في دراسة النص الأدبي العربي، مع عدم إغفال الخصوصية الثقافية لهذا النص المكتوب في سياقات تختلف، حتما، عن سياقات النص الأدبي الغربي المُنتِج لتلك المصطلحات والأدوات عبر التحليل والاستنباط."[1]

أما في كتاب "جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية"[2] موضوع قراءتنا، يحاول الباحثُ تحديدَ أفق القارئ الافتراضي الذي يهدي إليه عمله النقدي هذا، بعد وضع عنوان فرْعيّ مفاده: "قراءات سردية ثقافية" تحت العنوان الرئيس للكتاب، الذي يعتبر عنوانا فضفاضا بالنسبة للمقالات الأربع الواردة في الكتاب، والتي لم تختص جميعها بالتخييل في الرواية الجزائرية، بل عالجت مواضيع مغايرة تتعلق بالسرد والوصف والفضاء والأنساق الثقافية والهامش، وتخللتها إشارات ضعيفة للمخيال والتخييل، فعلى الرغم من أن الكاتب يذكر في مقدمة مؤلفه النقدي أنه سيتناول "بالوصف والتأويل جدل التخييل والمخيال في تشكيل المعنى المحتمل في خمس روايات"[3]، تجيء مقدمة الكتاب كورقة تنظيرية للتخييل والمخيال عندما يحاول "سيدي محمد بن مالك" تأطير مصطلح التخييل، الذي يرى أنه "ينطوي على حكاية وخطاب وسرد، ينصرف إلى محاكاة الواقع ومشاكلة الحقيقية (بتعبير رولان بارت)، فإن تلك المحاكاة أو المشاكلة ينبغي لها أن تتجاوز موضوعية ذلك الواقع وحرفيته، بصياغة صور ورموز وعلامات غير تلك التي يصوغها المخيال في محاولته إدراك الوجود وتصنيف الموجودات، سواء أكان مخيالا إنسانيا أم ثقافيا، دينيا أم سياسيا، شعبيا أم نخبويا"[4]. ويضيف في خضم محاولته تقديم حوصلة نظرية لهذا الموضوع قائلا :"يضطلع التخييل السردي عامة، والتخييل الروائي على نحو خاص، بإنتاج مخيال نصي مغاير للمخيال المرجعي، يتأسس على إدراك خاص للوجود، لا يكون بالضرورة انعكاسا لإدراك المجتمع أو الجماعة أو النخبة"[5]. وكما أن الجانب النظري من الكتاب قد احتوته المقدمة بشكل عام ومقتضب، نجد أن البحث في جدل الخيال والتخييل في هذا الكتاب قد اقتصر على المقال الأول منه، والذي تناول فيه الباحثُ"الثورة الجزائرية بين

---

[1] جريدة اللقاء، النسخة الإلكترونية 23 أوت2016، http://likaa-dz.com/article/2415/
[2] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2016
[3] المرجع نفسه، ص 09
[4] المرجع نفسه، ص.ن
[5] المرجع نفسه، ص.ن

التخييل والأيديولوجيا"، مستقرئا رواية "نهاية الأمس" لعبد الحميد بن هدوقة و"طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش على بساط عشر صفحات من مجمل صفحات الكتاب المائة وخمسة، والذي قسمه صاحبه إلى أربعة عناوين كبرى، جاءت بمثابة أربع مقالات منفصلة، لكل مقالة خلاصة خاصة بها، مع غياب خاتمة تحصيليّة للكتاب، ممّا يؤكد فرضية كون مباحث الكتاب عبارة عن مقالات منفصلة، وقد سبق للكاتب أن نشر اثنتين منها في «مجلة نزوى» بعنوانين مختلفين؛ المقال الأول جاء في الكتاب بعنوان "الفضاء والنسق الثقافي في رواية الرعشة لأمين الزاوي"[1]، بينما وَرد المقال في ذاته المجلة بعنوان "سيميائية الفضاء الجزائري..من المطابَقة إلى المغايَرة عند أمين الزاوي"[2]، أمّا المقال الثاني فقد جاء في الكتاب بعنوان "الوصف والمعنى في رواية قرة العين لجيلالي خلاص"[3]، و وَرَد بعنوان "سيميائيّة الوصف في رواية «قرّة العين» لجيلالي خلاّص" في نفس المجلة[4]. هذا وقد شمل الكتاب أخيرًا ثبتًا للمصطلحات السردية في عشر صفحات.

- **<u>مناهج الدراسة</u> :**

جمع الباحث في كتابه نصوصًا روائية من حِقب زمنيّة متفاوتة، وهو يرمي من خلال بحثه هذا إلى تطبيق مناهج نقدية معاصرة بوجهة نظر مغايِرة لِمَا تمَّ اجتراره سابقًا من متون روائية مكرورة. وقد استهل دراسته بظاهرة التخييل في روايتي "نهاية الأمس"، و"طيور في الظهيرة" مؤكِّدًا أن الكاتِبَيْن"عبد الحميد بن هدوقة و مرزاق بقطاش" تناولاَ موضوع الثورة من زوايا مختلفة، ورؤية جديدة بعيدا عن هالة التقديس والتمجيد والتوصيف الجاهز النمطي، مستنِدًا إلى فكرة مفادها أنّ التخييل في الروايتيْن لا ينقل الواقع بحرفيته، ممَّا أَلْغى سطوة المِخيال.

- حرص الباحث على تحليل الاستراتيجية السردية للروايَتَيْن من خلال أدوات إجرائية، كالتبئير، التضمين، اللاحقة...مُتَّكِئًا على المنهجيْن الوصفي، والبنيوي، وهذا ما أعلنه في مقدمة كتابه. كما وظف المنهج الاجتماعي في حديثه عن دور الشخصية الرئيسية في المتن الروائي، ورأى بأنها أيقونة أدبيّة، أو بمثابة الممثل لشخص الكاتب النفسي والناقل لأيديولوجيته مهما حاول التخفّي والتواري، وبأنّه يغلب عليها البعد الإشكالي، فنكون بذلك أمام الشخصية الروائية الإشكالية التي تمتاز عن سواها من الشخصيات الروائية بإحساسها المرهف، الذي

---

[1] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص25

[2] سيدي محمد بن مالك، سيميائية الفضاء الجزائري .. من المطابَقة إلى المغايَرة عند أمين الزاوي، مجلة نزوى ،مؤسسة عمان للنشر، العدد 76، أكتوبر2013، ص53

[3] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص47

[4] سيدي محمد بن مالك، سيميائيّة الوصف في رواية «قرّة العين» لجيلالي خلاّص، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للنشر، العدد 73، يناير2013

يجعلها لا تقوى على تحمل تعقيدات الحياة وتناقضات المجتمع؛ فتلوذ بالماضي والشعر والفن، لتستحضر معاني الفؤطرة والطّيبة والفن، وهي لا تريد الانغماس في الواقع، ولا تروم التغيير فعليا.[1]

في مقاربته بين التخييل والمخيال، يرى الباحث بأن الواقع التأريخي للثورة تمَّ تناوله في قالب روائي تخييلي للتعريف بعظمتها عالميًّا، كما امتزج التخييل بالنقد، وشكلت الأيديولوجيا بجمالية اللغة الفنية التي ساهمت في صياغة موضوع تاريخي، وقد ذهب إلى أنَّ لغة رواية "نهاية الأمس" سهلة في حديثها عن خطر الأيديولوجيات الأخرى التي ترمي إلى تقويض أركان الدولة الجزائرية، والحبكة أيضًا جاءت سهلة، والأحداث متسلسلة مع اللواحق، وزمن الأحداث متغيِّر؛ فالراوي ينتقل من الحاضر إلى الماضي. أمَّا الضمير المسيطر فهو ضمير الغائب الذي يعني ذاتا شاهدة، عليمة بأفكار وخبايا الشخصيات، وتطرَّق الباحث أيضًا لتحديد الرؤية التي تنطلق منها الشخصية الروائية وخَلُص إلى أنها تمثل رؤية "ابن هدوقة" في حد ذاته. نفس الفكرة تقريبا أكَّدها في دراسته لرواية "طيور في الظهيرة"؛ حيث ذهب إلى أنَّ رؤيةَ الكاتب "بقطاش" قد نُقِلت لنا من خلال شخصية الطفل "مراد"، الذي ينتقد الخطاب الديني، وقد قامت الرواية على الراوي العليم أيضا، وكانت الشخصيات رمزا لأفكار ومبادئ الكاتب.

- في تحليله لرواية "الرعشة" لأمين الزاوي نهج الباحث منحًى مُغايِرا؛ فقد ركّز على دراسة الفضاء معتمدا المنهج البنيوي، وخَلص إلى أن المكان في الرواية أصبحت له دلالات جديدة مستحدثة، مقترنة بإدراك الروائي الخاص للفضاء بعيدا عمّا هو متصوَّرٌ في المخيال، فالروائي"أمين الزاوي" استثمر المكان بطريقة مغايرة، وأراده فضاءً عامرا بقيم ثقافية جديدة؛ ذلك أنَّ المكان بهندسيته الجغرافية في النص يوهِم بواقعية ما يُروى، مما يستدعي حضور النسق الثقافي داخل الرواية لا محالة [2].هذا الرأي توصَّل إليه الباحث من خلال الاعتماد على مبادئ البنيوية والسيميائية، إضافة إلى التأويلية حين أكَّد بأنَّ الكاتب وظَّف رموزا موحية ودالة للوصول إلى الموضوع الأساسية للنص أو الفكرة؛ فمثلاً كانت البطلة زهرة رمزًا للجزائر. وبعد هذا كلّه تطرق لعلاقة الفضاء بالموضوع والمنظور والبوليفينية (تعدد الأصوات)، ورأى بأنَّ رؤية الكاتب للعالم وموقفه الأيديولوجي تجلَّت عبر المنظور السردي من خلال التبئير، كما حدَّد بؤرة الرؤية التي ينطلق منها السارد ويتغلغل في أعماق الشخصيات، وفي الأخير قارن

[1] يُنظر : سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص14
[2] المرجع نفسه، ص29

بين الأفضية المختلفة في الرواية، وصنفها في ثنائيات متضادة القرية/ المدينة، السقيفة/ القبو، الداخل /الخارج محددا النسق الثقافي لكل فضاء، ورمزياته المختلفة.

- تناولت رواية "قرة العين" لجيلالي خلاّص موضوعَ الثورة الزراعية في وقت غلبت فيه موضوعات العنف والإرهاب...الخ، ويرى "سيدي محمد بن مالك" أن رؤية "خلاّص" للواقع الجزائري في روايته هذه، لا تتوافق مع توجُّهات السلطة السياسية في السبعينات، ويعلن في دراسته لها اعتماده المنهج التأويلي والسيميائي لتحديد النسق، قائلاً: "تروم هذه المقاربة تأويل بعض إيحاءات المعنى الثّاوية في تجاويف الملفوظات الوصفية في رواية «قرّة العين» لجيلالي خلاّص"؛ فغنيّ عن القول "إنّ التّحليل السيميائي ينحو، أساساً، نحو التأويل الّذي لا يغفل خلفية النص اللسانية والثقافية كما يعتقد إيكو، وإنّ غاية هذا التأويل، عند غريماس، هي تحديد النسق الثقافي المتضمَّن في المعاني الموحية"[1]، مؤكدا على ضرورة العناية بالوصف وعلاقته بالمعنى في ضل احتلال السرد المساحة الواسعة من دراسات الخطاب، مشيرا إلى الدراسة الّتي نهض بها فيليب هامون عن الوصف، معلنًا أنه سيعتمد عليها نظريا في مقاربته سيميائية الوصف في رواية "قرة العين"، دون أن ينسى الإشارة إلى جهود غريماس في تأسيس نظرية سيميائية للأهواء تصبو إلى تجاوز النقص المنهجي الذي شهدته السيميائية السردية باهتمامه بالفعل من حيث تمظهراته وأنماطه ووظيفته.[2]

وفي محاورته رواية "قرة العين" لجيلالي خلاص، يحاول"سيدي محمد بن مالك" أن يستقرئ علاقة الوصف بالمعنى من خلال تتبع التواصل السردي والكفاءة الوصفية والميثاق المعرفي، ثم يحاول أن يفسر عبور المعنى من نسق المخيال الى نسق الثقافة، ليتوج ما سبق بخلاصة. ويعتمد الناقد في مقاربته على تأويل المعنى من خلال التحليل السيميائي لملفوظات الوصفية في هذه الرواية[3]. يرى الناقد أن خلاص في روايته "قرة العين" يستعمل أسلوب السرد المتسلسل "الذي ينهض به راو عليم محيط بالأخبار والتفاصيل المتعلقة بشخصية رئيسية يطغى حضورها على حضور الشخصيات الأخرى التي لا تعمل سوى على مساعدتها أو مناوأتها"[4]، ويؤكد على أن الرّاوي في "قرة العين" يمتلك كفاءة تخييلية معينها الكاتب الذي يمده بالأخبار والوقائع عبر

---

[1] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص49
[2] المرجع نفسه، ص.ن
[3] المرجع نفسه، ص50
[4] المرجع نفسه، ص 10

التواصل المشترك[1]. ويرى أن هذه الكفاءة هي التي تؤهله لممارسة الوظائف التواصلية من "سردية، وتنظيمية، وتواصلية، وإشهاديه، وأيديولوجية.[2]

يؤكّد الباحث مرة أخرى أن استخلاص المعنى المتضمن في رواية "قرة العين" يستلزم تشريح الاستراتيجية الوصفية[3]، مبررا ذلك بأن "الخطاب لا يستقيم على ساق السّرد وحدها؛ هذا السرد الّذي يقوم على التخييل المستقل ببنيته ومعناه عن اللّغة"[4]. وهو ما حاول تأكيده من خلال دراسة الكفاءة الوصفية، ذلك لأنّ "التّواصل الوصفي يقوم على اليقين الّذي يحثّ الموصوف له على مطابقته بما يتخلّل فكره من معرفة تتّسم بالجزم والإطلاق، بينما يقوم التّواصل السردي على الخبر الّذي لا يُخضعه المسرود له لمعيار الصّدق أو الكذب، لأنّ مصدره الخيال المتسامي على الواقع الّذي انطلق منه"[5]. ولإثبات ذلك يتناول الكاتب الإستراتيجية الوصفيّة بالتحليل،والتي يراها تتطلّب انتقاءً للصّفات لامناص منه، ويسجل في تحليله إسهاب الواصف في وصف تفاصيل الجسد وجزئياته، وايجازه في وصف أغوار النّفس ومكنوناتها، وتحوله لفعل العكس في مواطن أخرى، فيستغني بإيحاءات النّفس عن حقيقة الجسد وما يصدر عنه من أفعال، كما يعنى بوصف المكان خاصة عندما يقترن بالشخصية. ولهذا نجده يخصص" مبحثا للاستراتيجية الوصفية المعتمدة في رواية "قرة العين" لجيلالي خلاص، مشيرا إلى أن الواصف إذا ما قام بوصف المكان، فإنه عادة ما يقرنه بالشخصية ليوحي (المكان) بتصنيفها الاجتماعي وليشهد على إيديولوجيتها وأعمالها." [6]

في إطار معالجته لموضوع الميثاق المعرفي يذكرنا الكاتب بكون الميثاق التّخييلي لا يحمل المسرود له على الاعتقاد بصحّة ما يرويه السارد، بينما يصبح التواصل الوصفي، القائم على الميثاق المعرفي، مسرحاً للتّنافس بين ذاكرة الواصف وذاكرة الموصوف له[7]. وفي محاورته للنص وتحولاته من نسق المخيال إلى نسق الثّقافة، يؤكّد على أن رواية "قرّة العين" نصّ واقعي بامتياز، وأن الوصف يفرض حضوره من خلال رغبة الواصف في إطلاعنا على النّسق الثّقافي، وتمييزه عن المقاطع السّردية النّابعة من التّخييل الّذي يُجسّد ذهنية الإنسان وتصوّره للعالم، وهو يرى قصور تحليل السرد عن إدراك المعنى في حال لم يصاحبه تحليلٌ للوصف؛

---

[1] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية،ص 50
[2] المرجع نفسه، ص51
[3] المرجع نفسه، ص 10
[4] المرجع نفسه، ص51
[5] المرجع نفسه، ص51،52
[6] الطاهر الطويل، رحلة البحث عن المعنى من الكتابة إلى القراءة «جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية»،القدس العربي، النسخة الإلكترونية 14ديسمبر 2016. http://www.alquds.co.uk/?p=644599
[7] يُنظر: سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص57

"إذ ليس المخيال وحده ما يؤسِّس النّص، بل الثّقافة أيضاً"[1]. ليؤكد في خلاصة مقاله على الوظائف التي يقوم بها الواصف: الوظيفة الوصفية، والمعرفية، والتعليمية والثقافية والنفسية.

ارتأى "سيدي محمد بن مالك" أن يكون العنوان الأخير في كتابه هو"الملكة" لأمين زاوي، حين ينفتح السرد على الهامش"وناقشه على مستويين مختلفين: على مستوى الخطاب السردي ثم على مستوى الخطاب الثقافي.

ينتقد أمين الزاوي في روايته "الملكة" الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري الذي يعيشه الجزائريون ويتعايشون معه، إضافة إلى علاقتهم مع الآخر، مِن خلال عَرضه أحداث ومجريات علاقة الحب التي جمعت "سكورا" الجزائرية والصيني "يو تزو صن"، ممّا يجعله في نظر الباحث "ينفتح على الآخر غير الغربي الذي يختلف عن الأنا في شؤون حياته وفي تفكيره وعواطفه وطقوسه، إنه الآخر الصيني الذي يضطرب بين المركزية والهامشية، فهو مركز بتاريخه وتكنولوجيته وحبه للعمل، وهامش ببداوته وهمجيته في نظر الأنا. ولكن الزاوي لا يكتفي بالانفتاح على صوت الآخر الغريب والمثير والمدهش، بل ينفتح على صوت الآخر المتواري داخل الأنا كذلك، الذي لا يقل غرابة وإدهاشا هو أيضا." [2]

إن إنتاج المعنى في هذه الرواية حسب الناقد هو "رهين تضافر عناصر ثلاثة رئيسية هي قصدية الكاتب، ونصية النص، ووعي القارئ ، فلا نوايا الكاتب وحدها ما يعين المعنى ولا الأسلوب مفردا ما ينتجه ولا استجابة القارئ تستأثر بتحقيقه". ويضيف أنه "يجب أن ننظر إلى نصية رواية الملكة باعتبارها استراتيجية يندمج فيها كل من المبدع الصريح والمبدع الضمني اللذين يشتركان في صوغ المعنى"[3]. ومن خلال رؤيته التي تسم خطاب الرواية بالتعدّد على مستويات مختلفة مثل "اللغات، والأساليب، والأصوات، وتداخل الأجناس والأنواع الأدبية"، يؤكد الناقد على أنّ الزاوي "يؤثر الأسلوب المتعدد الأصوات والرؤى الذي يمنح الكائنات الورقية فرصة الحضور الفكري والأيديولوجي"[4]، ومن ثمّ يمرر الزاوي عبر تعدد الأصوات المتضمن للتعدد الثقافي، مجموع رؤى العالم في المجتمع وكذلك رؤيته للأنا والآخر وأفكاره عن الهوية والحرية والمرأة واللغة والسياسة والدين والجنس جماليًا.[5]

---

[1] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص 59
[2] الطاهر الطويل، رحلة البحث عن المعنى من الكتابة إلى القراءة «جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية»، مرجع سابق.
[3] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص 69
[4] المرجع نفسه، ص 10
[5] الطاهر الطويل، رحلة البحث عن المعنى من الكتابة إلى القراءة «جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية»، مرجع سابق.

يرى "سيدي محمد بن مالك" أن استنباط المعنى الموجود في رواية الملكة مرتبط بتحليل الاستراتيجية السردية وبعض الأدوات الإجرائية الأخرى، لذلك في تناوله للخطاب السردي في "الملكة"، ينحى الناقد منحى تقليديا في دراسة السرد عبر تتبع الراوي وتمظهراته في النص فيحدد مستويين حكائيين يتحكمان في سيرورة السرد، مرتكزا على تناوب الشخصيتيْن الرئيستيْن "سكورا" و"يو تزو صن" في سرد حكايتهما، ويشمل المستوى الأول حكاية حفيظة وحكاية فتحي وحكاية عبدالرحمن، أما المستوى الحكائي الثاني فيشمل حكاية سكورا وحكاية يونس الشنوي مُقرًا بإسهابه في تفكيك الاستراتيجية النصية في شقها السردي.

وفي دراسته الخطاب الثقافي للرواية يتناول الموضوع من خلال تقصي مركزية الأنا وهامشيتها في المتن السردي، ويرى أن الذات تضطرب بين المركز والهامش وفق خطة محكمة، ويتناول في نقده الثقافي علاقة الأنا بالآخر بين التسامح والتعصب، محددا كيف تقوم الاستراتيجية النصية في رواية "الملكة" على "المقابلة بين مركزيين متباعدين جغرافيا وثقافيا وحضاريا ولكنهما متقاربان من حيث الأهواء التي تعمر نفس الأنا والآخر"[1]، وهذا من خلال شخصيتي سكورا الجزائرية ويو تزو صن الصيني أو يونس الشنوي كما يحلو للجزائريين مناداته، "فحدث الموت لصيني مجهول الهوية هو الذي يغير مصير «سكورا» ويونس الشنيوي من روتين يومياتهما إلى قصة أخرى مغايرة تماما. من حدث الموت تبدأ قصة حب مثيرة بين صيني وجزائرية كلاهما هرب من الجحيم. شخصيتان مليئتان بالأسئلة والشكوك حول نسبيهما، يشوبهما القلق وتسكنهما القصص والموسيقى في عالمين منغلقين بعيدين متشابهين: الصين والجزائر"[2].

- لقد حاول الباحث"سيدي محمد بن مالك" تطبيق مناهج معاصرة على نصوص روائية جزائرية، متناولاً جوانب لم يتمّ التطرق لها من قبل، مُنوِّعًا في دراسته بين الجانبين النظري والتطبيقي، من خلال التكاء على المنهج الوصفي، البنيوي، السيميائي، والتأويلي، إضافة إلى النقد الثقافي، وتجدر الإشارة إلى أنّه ركّز على مفهوم الراوي في تحليله للنص السردي، موافقا الدرس النقدي المعاصر الذي ينزع لتهميش الكاتب في العملية الإبداعية حسب ماصرّح به الباحث نفسه.

---

[1] سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، ص 84

[2] جيلالي عمراني، جلد الذات في رواية «الملكة» للجزائري أمين الزاوي، صحيفة القدس العربي، النسخة الإلكترونية،31 جانفي 2015 http://www.alquds.co.uk/?p=287974

- **<u>قائمة المصادر والمراجع</u> :**

1/ سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2016

2/ حسن المودن: الرواية و التحليل النصّي – قراءات من منظور التحليل النفسي– دار الأمان، الرباط، ط1، 2009

- **<u>المراجع الإلكترونية</u>:**

1/ سيدي محمد بن مالك:

سيميائيّة الوصف في رواية «قرّة العين» لجيلالي خلاّص، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للنشر، العدد 73، يناير 2013

سيميائية الفضاء الجزائري.. من المطابَقة إلى المغايَرة عند أمين الزاوي، مجلة نزوى ،مؤسسة عمان للنشر، العدد 76، أكتوبر 2013

2/ إصدارات جديدة "كتاب جديد لسيدي محمد بن مالك"، مجلة عود الند، النسخة الإلكترونية، العدد10،112 أكتوبر 2015. http://www.oudnad.net/spip.php?article1510

3/ جيلالي عمراني، جلد الذات في رواية «الملكة» للجزائري أمين الزاوي، صحيفة القدس العربي، النسخة الإلكترونية،31 جانفي 2015 http://www.alquds.co.uk/?p=287974

4/ الطاهر الطويل،

رحلة البحث عن المعنى من الكتابة إلى القراءة "جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية"، القدس العربي، النسخة الإلكترونية، 14ديسمبر2016،http://www.alquds.co.uk/?p=644599

5/ جريدة اللقاء، النسخة الإلكترونية 23 أوت2016، http://likaa-dz.com/article/2415/